



Gulf Insights

ما وراء الجيوسياسية والاقتصاد
الأبعاد الاجتماعية-السياسية لتداعيات الحرب في الخليج

مريم الكواري

أبريل 2026

No. 109



ما وراء الجيوسياسية والاقتصاد

الأبعاد الاجتماعية-السياسية لتداعيات الحرب في الخليج¹

مريم الكواري

في النقاشات العامة الاغلب يذهب في تحليله التركيز على الخرائط العسكرية ومسارات الصواريخ والطائرات المسيرة وتوازنات الردع وأمن الطاقة ومواقف أطراف الصراع ومخاطر وتداعيات إغلاق مضيق هرمز. وعلى الرغم من أهمية كل هذه الجوانب وضرورة التطرق إليها بجدية، إلا أن المشكلة تبدأ عندما ينحصر فهمنا للأزمة الحالية بهذا الإطار، فنقع أحياناً في فخ إعادة انتاج النظرة الاستشراقية وتحليل الأزمات من منظور الدولة الربعية، وكأن الخليج مجرد مسرح عمليات عسكرية وخطط استراتيجية أو ممر لتدفقات النفط والطاقة، ولا كأن هناك فضاءً اجتماعياً حياً تسكنه مجتمعات ذات ذاكرة تاريخية وتجارب جماعية وتصورات متباينة للأمن واستجابات مختلفة للأزمات .

فالحرب ليست فقط ميادين صراع فحسب، بل إنها أيضاً تجربة اجتماعية ونفسية وسياسية تعيشها المجتمعات في ادق تفاصيل حياتها اليومية. لذلك فإن الأسئلة المهمة التي يجب أن تطرح، هي أن الحرب لا ينبغي أن تنحصر في المتغيرات الاستراتيجية في الخليج، ولا إعادة ترتيب موازين القوى، بل يجب أن تتضمن أسئلة أوسع حول المتغيرات الاجتماعية والسياسية داخل المجتمعات الخليجية نفسها. فهذه المتغيرات بدورها قد تعيد تشكيل علاقة المجتمع بالدولة، وإعادة تعريف معنى الأمن المجتمعي، وطبيعة التضامن الاجتماعي، وكذلك تصور الناس لمستقبلهم في المنطقة .

فعندما تطرق الحرب أبواب المجال الحيوي للدولة، أو تقترب منه حتى لو لم تشتعل نيرانها المباشرة على أرضها، فإنها تبدأ بالتسلل إلى الوعي الجمعي للناس، وإلى طريقة نظرهم للغد وحديثهم عن المستقبل، وإلى إحساسهم بالاستقرار أو بالخوف وانعدام الأمان. سماع الناس أصوات الانفجارات، أو صفارات الإنذار، أو التحذيرات الأمنية عبر الهاتف، أو صور الطائرات المسيرة المهاجمة على بُعد مئات الأمتار فوق بيوتهم. فإن المسألة ليست مجرد عناوين أخبار في وسائل الإعلام، بل تتحول إلى تجربة يعيشها الفرد بشكل مباشر. خاصة عندما يبدأ الناس بطرح أسئلة يومية بسيطة ولكنها ذات دلالات عميقة وجدية مثل: هل أذهب إلى العمل اليوم؟ هل أرسل أطفالي إلى المدرسة؟

هل السفر آمن؟ هل غرفة المعيشة آمنة لي ولعائلتي؟

¹ جميع المقالات المنشورة ضمن سلسلة «رؤى الخليج» قد نوقشت داخلياً، وتعبر عن آراء ووجهات نظر مؤلفيها، ولا تعكس آراء المركز، كلية الآداب والعلوم أو جامعة قطر، بما في ذلك المصطلحات والتعبيرات المستخدمة في هذا المنشور.

قد لا تبدو هذه الأسئلة ذات وزن حقيقي في السياق الكبير للحروب، لكنها بالنسبة للإنسان العادي تعكس انتقال الحرب من المجال الاستراتيجي إلى المجال الاجتماعي. ومن هنا تأتي أهمية طرح بعض الأبعاد التي ربما لا يناقشها الكثير من الخبراء والمحللون على الشاشات، مثل: إدارة الخوف الجماعي، وتنظيم تدفق المعلومات، وطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع في أوقات الأزمات، وقدرة المجتمع على الحفاظ على الاستقرار النفسي والمعنوي، وقدرة مرونة والتكيف والصمود.

في هذا السياق، تلعب الذاكرة الجمعية دورًا مهمًا في كيفية استجابة المجتمعات للأزمات. فعند وقوع الأزمات الكبرى، تتجاوب الشعوب والمجتمعات بما تحمله في ذاكرتها الجمعية من تجارب سابقة تؤثر في نظرتها للأحداث، وتؤطر طريقة فهمها للأزمات الجديدة. وعلى الرغم من أن منطقة الخليج يُنظر إليها غالبًا على أنها منطقة آمنة وبعيدة عن الحروب، فإن تاريخها الحديث شهد العديد من الأزمات التي تركت بصمة في الوعي العام. مثل حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران وما رافقها من أحداث ومخاطر كحرب ناقلات النفط في عام 1980، أو غزو العراقي على الكويت عام 1990 الذي ترك المنطقة بأكملها في حالة صدمة، بالكاد استفاقت منها حتى تلتها الحروب المتكررة من الغزو الأمريكي على العراق والتوترات المتتالية في الخليج، والهجمات على منشآت الطاقة خلال حروب اليمن. كما لا يمكن إغفال تجربة الحصار الذي تعرضت له قطر بين عامي 2017 و2021 وما رافقه من مخاطر وتحديات. وقد تركت هذه الأحداث آثارًا سياسية، إلى جانب آثارها النفسية والاجتماعية الثقافية، في الوعي العام لمجتمعات المنطقة.

فالكويت، على سبيل المثال، لا تزال تحمل في ذاكرتها الحديثة تجربة الاحتلال العسكري المباشر، وهو ما يترك بصمة خاصة على حساسيتها تجاه أي تصعيد إقليمي، سواء كان بسبب الخلاف الذي تآجج قبل أسابيع حول الحدود البحرية، أو بسبب اندلاع الحرب مع إيران. أما في دول أخرى مثل قطر، فإن الذاكرة أكثر ارتباطًا بتجربة الحصار السياسي والتهديد الغير المباشر. وخلال السنوات العشر الماضية واجهت قطر تحديات استثنائية، ما جعل الذاكرة الجمعية فيها مرتبطة بتجربة الحصار وإدارة الأزمات، خصوصًا فيما يتعلق بالهجمات الإلكترونية وحملات التضليل وكيفه التعامل معها.

ورغم هذه التباينات، فإن تجارب الشعوب الخليجية تتقاطع في عدد من العناصر المشتركة. فالجغرافيا السياسية، والتشابك الاقتصادي، والاعتماد المتبادل بين الدول، فضلًا عن التحديات الأمنية المشتركة، أسهمت جميعها في تشكيل وعي خليجي يرتبط بفكرة هوية خليجية والمصير المشترك، مع استمرار كل مجتمع في الحفاظ على خصوصيته وتجربته التاريخية.

غير أن فهم التفاعل الاجتماعي مع الأزمات في دول الخليج لا يقتصر على ذاكرة المواطنين وتجاربهم التاريخية وحدها، إذ أن المجتمعات الخليجية تتميز بتركيبها السكانية المتنوعة حيث يعيش في الخليج ملايين المقيمين من جنسيات وثقافات مختلفة ممن

يشكلون قوة عمل اقتصادية كبيرة إضافة لكونهم قد أصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي في بلاد المنطقة. فإن الذاكرة الجمعية في هذه المجتمعات لا تتشكل فقط من التجارب المحلية، بل تتقاطع أيضاً مع تجارب الحرب والهجرة والنزاعات التي يحملها المقيمون معهم من بلدانهم الأصلية. ومن هنا تبرز أهمية النظر إلى موقع المقيمين في المجتمعات الخليجية خلال أوقات الأزمات. وعند وقوع الأزمات تظهر أسئلة وجودية تتعلق بموقع هؤلاء المقيمين في المجتمع: كيف يرون الحرب وكيف يتجاوبون معها؟ هل يشعرون بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيشون فيه؟ أم ينظرون إلى الأزمة من زاوية مؤقتة وواقع عملهم فقط؟

وفي الواقع، فإن استجابات المقيمين غالباً ما تكون متنوعة، فمنهم من يعبر عن تضامن قوي مع المجتمع المضيف وعن شعور بأن استقراره الشخصي جزء من استقرار البلد، ومنهم من يتفاعل مع الأزمة بخوف وقلق عملي مرتبط بحياته اليومية خاصة عندما تعطلت المطارات والرحلات الجوية وتعطيل المدارس والجامعات. والبعض الآخر مثل اللبنانيين والسوريين والعراقيين والفلسطينيين من يقارن الوضع الحالي بتجارب الحروب والنزاعات التي عاشتها سابقاً في بلده الأصلي. كل هذه الاستجابات المتنوعة تكشف أن المقيمين يشكلون جزءاً مهماً من المشهد الاجتماعي في الخليج، ولذلك فإن أي تحليل لتداعيات الحرب لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار هذا البعد الديمغرافي والاجتماعي .

وفي هذا المشهد المعقد، فقد أظهرت وسائل التواصل الاجتماعي جانباً آخر من هذه الأزمة. ففي أوقات الأزمات تنتشر أحياناً حسابات مجهولة بهويات مستعارة تبالغ في تصوير الأحداث أو تنشر معلومات غير دقيقة: مثلاً بعض المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي، يميل إلى تبني سرديات درامية ومبالغ فيها بدافع البحث عن الإثارة أو زيادة عدد المشاهدات، أو الشهرة الرقمية أو التأثير الإعلامي، ولكن بعضها قد يكون أيضاً جزءاً من حروب المعلومات التي ترافق الصراعات في العصر الرقمي الحديث. كل هذا يجعل المجال الرقمي ساحة جديدة للصراع بين الدول وخلق روايات تهدف لتحقيق اجندة معينة. وبالتالي بيئة وسائل التواصل الاجتماعي تعتبر بيئة خصبة للشائعات، والشائعات قادرة على الانتشار كالنار في الهشيم، وبكفاءة أعلى من الأخبار الرسمية، مما يجعل القدرة على التحقق من المعلومات مسألة أمن مجتمعي حقيقي. فالبيئة المعلوماتية في الخليج تخضع لرقابة مشددة، وهذه الرقابة الشديدة بنيت على فكرة ان المجتمع الذي يعرف كيف يتعامل بحذر مع الأخبار غير الموثوقة ويعتمد على المصادر الرسمية يتمتع بقدرة أكبر على الحفاظ على الاستقرار النفسي .

هذه الرقابة والقرارات تفرض على الناس تغييرات عدة في تفاصيل حياتهم اليومية، طريقة التعامل مع الاخبار، الخوف من التعبير عن آرائهم ومشاعرهم خشية المساءلة، وتقليل من تنقلهم أو تجنب بعض الأماكن التي قد تكون عرضة للخطر، أو تعديل أنماط عملهم وتعليمهم عن بعد في المدارس والجامعات. وهذا يدل على قدرة المجتمع على التكيف مع الظروف الاستثنائية

دون انهيار النظام الاجتماعي. غير ان المشكلة تكمن في ان هذا التكيف لا يكون متساوياً لجميع الأفراد، فبعض الفئات المجتمعية أكثر هشاشة وتأثراً خلال الأزمات. فهناك فئات أكثر عرضة للتأثر خلال الأزمات، مثل كبار السن، والأطفال، والأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، الأمر الذي يجعل من حماية هذه الفئات جزءاً أساسياً من مفهوم الأمن الشامل.

من جانب اجتماعي، تشكل التوعية المجتمعية جزءاً هاماً من بناء ثقافة عامة قادرة على التعامل مع الأزمات بهدوء ومسؤولية. فعلى الرغم من شعور الناس بالرعب في لحظات الحرب الأولى إلا أنهم سرعان ما تيقنوا من أن مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية والأمنية والإدارية والاجتماعية والخدمية قائمة على حمايتهم وتلبية احتياجاتهم في ظل هذه الظروف، مما خلق شعوراً بالأمن والاطمئنان وساهم في تعامل المجتمع من مواطنين ومقيمين مع الأزمة بمسؤولية .

ومن الآثار الأخرى التي لا مفر منها في الحروب والأزمات انها عادة ما تفتح شهية المجتمعات والأفراد للنقاش حول الأمن والاستقرار الاقليمي وكل ما له صلة بالحرب، حتى عند من يتجنبون الخوض في السياسة معظم الوقت. وقد أظهرت الحرب الحالية أن هناك تعدداً وتنوعاً في الاتجاهات الفكرية والتي تنعكس ليس فقط في النقاشات الأكاديمية والإعلامية، ولكن أيضاً في البيوت والمجالس. ومن أبرز هذه الاتجاهات: تلك التي تؤكد على أن مصلحة دول الخليج تكمن في تجنب الانجرار للانخراط في هذه الحرب بأي شكل من الأشكال مع تنوع الأسباب، فالبعض يرى دول الخليج أن لا ناقة ولا جمل فيها، بينما يرى آخرون أن هذه الحرب ما هي إلا امتداد للخلافات القديمة بين الأطراف المتحاربة، والبعض الآخر يرى فيها حرباً امبريالية جديدة وتوسع مشروع الدولة الصهيونية.

وهناك اتجاه يتعلق بالنقاش حول دور القواعد العسكرية الأمريكية والغربية في المنطقة. فالبعض ينظر إلى هذه القواعد على أنها جزء لا يتجزأ من منظومة الردع والحماية فيما يرى آخرون أنها قد تجعل الدول المضيفة أكثر عرضة لمخاطر الانخراط في الصراعات، وذلك في إشارة إلى تحجج إيران بوجود هذه القواعد على الأراضي الخليجية لاستهداف دول الخليج بالصواريخ والمسيرات. هذا النقاش مؤشر إلى رغبة متزايدة في التفكير في نماذج أمنية إقليمية أكثر استقلالاً، ومن النماذج الممكنة في هذا السياق فكرة الأمن الخليجي المشترك والتي تشهد نقاشاً متزايداً بسبب هذه الحرب مع طرح السؤال حول مدى قدرة دول الخليج على تطوير آليات تنسيق أمني ودفاعي أكثر فاعلية دخل الإقليم نفسه .

نبذة عن المؤلف

الدكتورة مريم الكواري، مدير مركز دراسات الخليج، بكلية الآداب والعلوم، جامعة قطر.

نبذة عن سلسلة رؤى الخليج

تصدر سلسلة رؤى الخليج عن مركز دراسات الخليج بشكل أسبوعي، وتهدف إلى تعزيز نقاشات مستنيرة ذات عمق أكاديمي. وتُعد «رؤى الخليج» مقالات تحليلية تتناول قضايا إقليمية ملحة، يكتبها أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدكتوراه والماجستير في برنامج دراسات الخليج، بالإضافة إلى باحثين زائرين. ويتراوح طول المقالات بين 1200 و1500 كلمة.

تُناقش جميع المقالات المنشورة ضمن سلسلة رؤى الخليج داخليًا، إلا أنها تعبر عن آراء ووجهات نظر مؤلفيها، ولا تعكس آراء المركز، بكلية الآداب والعلوم أو جامعة قطر.